ما زال يسكنها الخريفُ.. ولا بدايهْ
ما زال يسبقها الرغيف.. ولا نهايهْ
نامت على باب المغاورِ والقِلاعْ
والعسكر الآتي من الظلمات يزحفُ..
معلناً موتاً جديداً.. وافتراقْ.
الصرخةُ البلهاءُ تَلبَس جرحَنا
وضعوا على كل المفارقِ ظلّ أغنيةٍ دميمهْ
فارجع لقومك مرة أخرى إذاً..
واخفض برأسك مرة أخرى إذاً..
إنّ الإياب كما الذهاب
من أين نبدأ همّنا الآتي..
وفينا من دماء الأرض شريانٌ..
وفينا من أغاني الجرح موال احتضارْ؟
ما بالها الأشياء توغل في انتحار
أوَكُلّما قامت لتَحملَ رايةً.. عثرتْ.. وضيّعتِ النّهار
يا صوتها المسجون في صدر الدمار
ما كان سراً أن نعانقَ فيكَ رونَقَنا
وتاريخ الإباء،
ما كان سراً أن نحبك مرتين
ونعيش خلف «رسالة الغفران» غابة أقحوانْ
ونعانق الشوق المسيّج بالجراح...
ونقاتل الأبواب..
نصقل حرفنا بالسيف.. نعبر فوق جسر الأمنيات.
رجعت خيول الكره...
هل أُنبيك عن زمن المهازل
زمن تدثّر بالشقاق
ما زالَ ـ يا شيخ المعرّة ـ يستوي نور الظهيرة والظلام
ما زال يَعبرنا الدخان.
فارجعْ لأرضك مرة أخرى.. ونَمْ
إنّ الزمان هو الزمانْ
إنّ الزمان هو الزمانْ

سامح درويش

دم على حائط الانتظار

لدمٍ على سفح الخواء
يُراق في صمتٍ..
بلا ثمنٍ..
ويذهب في مدارات الهراءْ،
لدم تساوى.. والهباءْ،
تمتدّ أطرافُ القصيدة
من بدايات انتظاركَ
لاحتضاركَ
فاستفز الصبر..
واستوفزْ مشاعَرَك الدفينةَ
والسكوتَ المرَّ.
لا تبرحْ مكانكَ
أو تفاوضْ
مَنْ يقايض باحتمالات انفعالك أمنَه
فيروح حلمُكَ
وانتظارُ الحلم.. أدراجَ الهواءْ.

* * *

لدم تَشَرَّبه الحجرْ
ـ فمضى ولم يورقْ سوى حَجَرٍ
بكف صبيةٍ أَلْقَتْه في وجه الضجرْ ـ
تنداح أسئلة
ودخانُ الترقب يخنق الأنفاس
أو يُعْشي البصرْ.
لا تنتظرْ
غَدُكَ استُبيحَ
وأمْسُكَ انداحت عليه سحائبُ النسيان
واليومُ اندثرْ

والمشهدُ المعتادُ
من أيام أندلسٍ يُعادُ
وأنت يَلفحك الرمادُ
ولستَ تدري ما تريد
وما يرادُ
بأمةٍ سكن الرقادُ بها
وحاصرها العفاءْ.
ما زلتَ محترقاً بتاريخ الضياعِ
وقصةِ الفردوس
والمجدِ المباع.
تآكلتْ أعضاؤكَ
انتثرتْ شظايا
لا يلملمها نداءْ.
لا تنتظرْ
واسرقْ لهيبَ الشمس
وانفذْ من خلال جدارِ صمتكَ
وانفجرْ،
لا تنتظر،
الخطوةُ الأولى هنا!.
فَوُلاتُكَ احترفوا ضياعَ المجد في الأوطانِ
واحترقوا بنار توجس البركانِ
نار الخوف من غضب تخبّأ فيكَ
وابتردوا بصمتكَ وانتظاركَ
أن تجيء الأمنياتُ من السماء.

* * *

وجهٌ بلون الموت...
يأتي من ربى غرناطةٍ
والخيلُ كابيةٌ.. على أبوابها
والسيفُ منكسرٌ بكفِّ الفارسِ المغدور
في عصر الطوائف..
والتشرذم..
والنثارْ.
وجهٌ بلون الحزن..
يبكي مثلما تبكي النساءُ
على ممالكه التي ما صانها مثلَ الرجالِ
فضاع فردوسٌ...
وتاريخٌ..
ومجدٌ.. وازدهارْ.
وجه بلون الجدب..
بين مدائنٍ
سَقَطَتْ سنابلُها الخصيبة
تحت أقدام التتارْ.
وجهٌ بلون الجرح
يَطرق في ربى القدس الأسير
وأنتَ ترقب في انكسارْ.
مَنْ ذا يُغيِّرُ في زمان القهر
هاتيك الملامحَ
والوجوهَ
ويكتب التاريخَ بالغضبِ المضيء
ويخطف النجم المسافرَ في المدارْ؟!
ما زلتَ وحدكَ.. واقفاً
والذاتُ يُدميها انشطارْ.
ما زلتَ وحدكَ.. واقفاً
والأرض ضاقتْ
واستبدَّ بها الحصارْ.
ما زلتَ منتظراً لشيء لا يجيء
أما مللتَ الانتظارْ؟!
الأرضُ مادتْ..
والخطى ساختْ..
وفي زمن التراجع تنشطرْ.
لا تنتظرْ!
ما أنتَ إلا أنتَ
ليس سواك يقدر أن يعيد إليك
ذاتَكَ..
إن أردتَ
وإن أبيتَ
فكن كما كان القطيعُ..
وسرْ كما سار القطيعْ
واهتفْ بطول العمر للذئب
الوضيعْ.
ما أنتَ إلا أنتَ
غيرُك لن يعيد إليكَ ذاتَكَ،
فلتكنْ مثلَ الألى حرصوا على الموت
الكريم
فأقبلتْ لهم الحياة
بعزِّها
تمنحهم المجدَ الرفيعْ.

* * *

غضبٌ تلبَّد في النفوس..
ولا مطرْ!!
ومفاوضاتُ اللعنة السوداء
طالت..
واستطالتْ
من بداية جرحكَ الدامي
إلى وهم السلام المستحيل،
وأنتَ منتظرٌ.
يساومكَ السرابُ على وجودكَ
والخدرْ.
لا تنتظرْ!
دمُكَ الذي قد سال فوق حوائط
النسيان
لم يكتبْ سوى حرف البداية
في حكايات انتظارك،
فانتفضْ!
وانزعْ عن العينين ما يُعْشي
ومن أعماقِ نفسك
هسهساتِ الانفصام.
وَعُدْ لذاتكَ،
عُدْ لذاتكَ،
وانفجرْ
لا تنتظرْ!

أبو فؤاد
مصر